الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمـي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في مقياس الأدب الشعبي المغاربي للسنة الثالثة L M D

إعداد الأستاذة:
هنية مشقوق

السنة الجامعية: 1440هـ/1441هـ
2019 م/ 2020م

محاضرة رقم (1): الأمثال الشعبية المغاربية

1- **مفهوم المثل:** هو قول شعبي مأثور يمثل خلاصة تجارب حياتية ومحصلة خبرات إنسانية شعبية مغاربية، يتميز بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى وجودة الكناية، وهو كالعملة ذات وجهين، وجه يشمل على معنى ظاهر، وآخر يمثل معنى خفي، وهو المعنى المراد والمقصود.

عرّفه "فريديريك زايلر" في مقدمة كتابه "علم الأمثال الألمانية" بقوله: « القول الجاري على السنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل، يسمو على أشكال التعبير المألوفة» ، والمعنى نفسه أكده "ابن عبد ربه" في كتابه " العقد الفريد": «إنه جوهر اللفظ وحلي المعاني التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها كل زمان على كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرق من الخطابة» ، فالمثل كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءى فيها الملامح الخاصة بكل مجتمع، والمثل الشعبي عند " أحمد أمين" «نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية ولا تكاد تخلو منه امة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب» ، لذلك نجد أمثالا تخص التعامل اليومي بين الناس، وأخرى تخص التربية والأخلاق التي تواضع عليها المجتمع وغيرها تخص الدين والأفكار...الخ. فالمثل يعكس ثقافة المجتمع المغاربي، كما يمكن التعرف من خلاله على نمط تفكير الشعوب المغاربية ونظرتها لواقعها وللكون، فأسلافنا تركوا لنا إرثا حضاريا وشعبيا له من القيمة ما يسمح له بالتأثير في سلوكات الفرد، فالأمثال سلسلة طويلة من تراكم خبرات وتجارب الأجداد، توارثها الخلف عن السلف لسهولة حفظ المثل فبمجرد سماعه يرسخ في الذهن، والمثل يمتاز بعمق المعنى ورصانة الكلمات.

للمثل وجهان، وجه يحيل على الحادثة الأولى التي قيل فيها لأول مرة (المورد)، وآخر يحيل على الحادثة المشابهة للأولى والتي يُعاد فيها ضرب المثل (المضرب).

2- أهمية الأمثال: للأمثال أهمية كبرى لا يمكن إنكارها في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، لأنه يشمل كل مظاهر الحياة الناتجة عن التجارب الإنسانية والمواقف الاجتماعية، وهو ما جعله حقيقة مقبولة من قبل كافة أفراد المجتمع.

3- مميزاته: يتميز المثل بـ:

- المرونة.
- التداول الشفوي والتوارث جيلا عن جيل.
- الجهل بالمؤلف فهو من إبداع الجماعة الشعبية، ولكن ثمة أمثال شعبية جزائرية تنسب للشيخ " عبد الرحمن المجذوب".
- لغته هي اللهجة الشعبية المشتركة بين جميع أفراد الشعب أو الجماعة الشعبية.
- الطباع الشعبي فكلمة الشعب التي ابتدعتها العبقرية الشعبية في لحظة من اللحظات.
- التناقض في المعنى فالمثل في ظاهره يدعو إلى شيء، وفي باطنه يدعو إلى نقيضه، مثل: "أنا قلبي على الجمر وهو قلبو على التمر"، " يوكل في الغلة ويسب في الملة".
- من حيث الأسلوب يتميز بقصر العبارة وإيجاز اللفظ وحسن التشبيه وإصابة المعنى وجودة الكناية.
- كثيرا ما ترد الأمثال في قالب الحكاية حيث تأخذ الطابع القصصي من حيث الموضوع والحوار.
- استعانة الأمثال بالصور وجمال الوزن والإيقاع الذين يؤثران في نفسية المستمعين.
- كثيرا ما يرد المثل في قالب شعري شعبي مثل:

*لا يغرك نوار نوار الدفلى   في الواد عامل اضلايل
ولا يغرك زين الطفلة   حتى تشوف الفعايل

*سوق النسا سوق مطيار   يا الداخل رد بالك
يوريولك من الربح قنطار   ويودرولك راس مالك

4- وظائفهُ: يعدّ المثل الشعبي أكثر الأنواع الأدبية انتشارا فهو يتداول ويستعمل بين فئات اجتماعية مختلفة نظرا لخصائصه الفنية ومميزاته. تتضمن الأمثال الشعبية عدة وظائف حسب الموضوع الذي تتناوله، والذي يمس الإنسان وواقع حياته اليومية، ومن بين أهم الوظائف التي يؤديها المثل:

- **الوظيفة الاتصالية:** انه كغيره من فنون التعبير الأدبي هدفه بالدرجة الأولى الاتصال والتواصل، ونقل المعلومة والمعرفة، والفكرة المراد ايشاعها بين الأفراد والمجتمعات، وهذا التواصل يقوم بنقل تجارب السابقين، ونظرا لما يتسم به المثل من إبداع فني وجمالي فهو أداة تواصلية وجمالية أيضا،إنه الوسيلة المثلى لحفظ تجارب الشعوب من الاندثار.
- **الوظيفة الأخلاقية والتربوية:** نستطيع من خلال المثل أن نكشف طباع المجموعة التي نشأ فيها، فهو بمثابة الضابط الاجتماعي والرقيب الذي يوجه سلوك الفرد وفق ما تمليه القيم الأخلاقية للجماعة سواء مع نفسه أو مع أفراد مجتمعه.

تسعى الأمثال إلى تهذيب النفس وتقويم الخلق وتعليم الفرد طرق وسبل العيش في ظل التجربة التي يتضمنها المثل، فالأمثال تعد مدرسة يتعلّم من خلالها الفرد السلوك الصحيح والاتجاه السليم الذي يسلُكه في حياته، فيكتسب تنشئة اجتماعية صحيحة، فمنها يستخلص الموعظة، مثال: "إلي ما سمعش كلام كبيرو الهم تدبيرو"، " ربي ولدك على الشدة إذا ترخات تترخى على الناس أكُّلْ"، " اعمل الخير وأنساه واعمل الشر وتفكرو واسمع كلام إلي يبكيك ويبكي عليك وما تسمعش كلام إلي يضحكك ويضحك عليك".

- **الوظيفة الفنية:** يتميز المثل بخصائص فنية أهلته للانتشار والشيوع بين أفراد المجتمع المغاربي، فهو يتميز بالإيجاز والبساطة والقوة، إنه النتاج الذي انبثق ونشأ من عمق الشعب وثقافته.

- **الوظيفة الترفيهية:** أخذ الأمثال في كثير من الأحيان منحى آخر، فتجعل الناس يضحكون ويشعرون بالسعادة والانشراح كونها تعتمد في أكثر الأحيان على السخرية، أو كونها صيغت في قالب جمالي فكاهي، لكنها تحمل أبعادا أخلاقية وتربوية وغيرها، مثال: "**اتهنى الفرطاس من حكان الراس**"، " **لمن تكحلي يامرت لعمى**"، " **ماتجي العورة تتحزم حتى يتفرق العرس**"، إن هذه الأمثال تحمل قساوة تدل أنها قيلت للتهكم والسخرية من عيوب خلقية لا حيلة للإنسان فيها، فهي قضاء الله وقدره المحتوم.

5- أبعاد المثل: المثل نابع من المجتمع ومتأثر بثقافته من جهة، ويؤثر فيها من جهة أخرى، ويظهر هذا التأْثير والتأثر من خلال البناء الاجتماعي، الاقتصادي، والأسري، السياسي، والديني، فقد تعددت الموضوعات التي تناولها المثل وهو انجر عنه عديد الأبعاد منها :البعد السياسي الذي يظهر واضحا في مجموعة الأمثال التي تركز أساسا على كل ما يتعلق بالمالك والمملوك، المسؤلين وجوره، السلطان والرعية، مثل: " **تتخلط وتتجلط ويطلع خزها فوق ماها للبلاد تبقى كي الشاة تتخبط من بكري يقولوا رياسها سباب خلاها تقعد معلقة ما تطلع ما تهبط مثل الشمعة والظلام كساها**".

كما يمكن أن يكون للمثل بعد اقتصادي يظهر من خلال إشهاره لعدة استراتيجيات، منها: الغنى، الفقر، البخل، الطمع، مثل: " **الطمع يفسد الطبع**"، " **المال يفنى والرجال يجيبوه**"، " **خبي عشاك لغداك**".

وهناك أيضا البعد الديني ويظهر هذا من خلال الأمثال التي تعكس لنا البعد الديني في المجتمع، من منطق إن الإسلام هو دينُنا، فالقرآن له تأثير كبير في الأواسط الشعبية، فنجد بعض الأمثال تحث على الخير والرضا بالقضاء والقدر وحسن اختيار الزوجة، والمنزل، مثال: "**المكتوب على الجبين لبد تشوفو العين**"، " **الدنيا بالوجوه ولآخرة بالفعايل**"، " **اخدم يا صغري لكبير واخدم يا كبري لقبري**"، " **لي يتزوجها على مالها يموت فقير، واللي يتزوجها على زينها يموت حقير، واللي يتزوجها على دينها يحبو ربي والنبي والبشير**".

ومن خلال الأمثال نستطيع أن نكشف البعد النفسي، لأن المثل في أحايين كثيرة ضرب من التنفيس والتعبير عن الكبت الذي يعانيه الفرد والجماعة الشعبية، فيمكننا من خلالها قياس درجة الحزن والفرح، والوعي والفطنة والذكاء، كما تعكس أمزجة المجتمعات الحاملة والقائلة لها، مثال:" **كي كنت على ديداني عند الهايجة يندهوني وكي عدت قليل حتى نَّاديهم حقروني**"، " **ما يملي العين غير الدود والتراب**".

6- علاقة المثل بالحكاية الشعبية: كثيرا ما يرد المثل في قالب حكاية شعبية وهو شائع في الوسط الشعبي المغاربي، فهناك عديد الأمثال الشعبية المغاربية تشترك في المعنى وتختلف قليلا في اللفظ، تشترك في المورد والمضرب ولها نفس الحكاية الشعبية التي قيلت فيها، مثال في الجزائر:" **الجرح يبرى وكلام العيب ميبراش**"، " وفي تونس يقال: " **الجرح يبرى ياصابرة وتبرى عليه الضميدة أما كلمة السو تبات ومن غدوة تصبح جديدة**"، وفي ليبيا: " **كل جرح يبرى إلا جرحك يالسان، في جرح يبرى ويختفي في يوم وفي ما جرح ما يبرى سطيرة دوم**"، في المغرب : " **الجرح يبرى وكلام العار ما يبرى، يبرى فم الجرح وما يبرى فم العار**".

محاضرة رقم (2): الألغاز الشعبية المغاربية

1- **مفهومه:**

*__اللغز لغة:__ كل كلام معمى مشكل لا يبّن معناه الحقيقي، ألغز الكلام وألغز فيه: أَمر على خلاف ما أظهر.

*أما **اصطلاحا** : فهو لغز يعبر باللهجة المشتركة بين جميع أفراد الشعب، أو الجماعة الشعبية، ويرى " موريس بلوم فيلد" أن «اللغز نشا منذ القديم حينما كان العقل البدائي يمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به، ذلك أنه كلما كانت الرؤيا أكثر نظارة ازدادت الرغبة في إدراك الظواهر الطبيعية وظواهر الحياة». وتعرفه " نبيلة إبراهيم" :«شكل أدبي شعبي قديم قدم الأسطورة والحكاية الخرافية، كما أنه يساويها في الانتشار، فليس اللغز مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال في الأمسيات الجميلة، وإنما هو عمل أدبي شعبي أصيل شانه في ذلك شان الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى».

ويقابل مصطلح اللغز في اللهجات العامية المغاربية لفظ "**الأحجية**" أو "**لمحاجية**" وهي عابرة غامضة لاختبار الذكاء، لان الهدف من وضع الألغاز والأحاجي ليس التسلية فقط وإنما التربية والتعليم في غالب الأحيان، والذي يتأمل مضامين الألغاز المغاربية يجدها هادفة وعميقة تدل على فطنة وذكاء العقلية المغاربية والتزامها منذ القديم باللغة، وقدرتها على ربط الصلة بين اللفظ الظاهر المنطوق والمعنى المقصود.

اللغز قديم جدا ومن أقدم الألغاز تلك التي طرحها ملكة سبأ"بلقيس" على النبي سليمان بن داوود عليهما السلام، وهي التي أوردها " جيمس فريزر" في كتابه " الفلكلور في العهد القديم" منها: " مامعنى سبعة وجدوا مخرجا وتسعة وجدوا مدخلا واثنين انساب منهم مجرى وواحد فقد شرب من هذا المجرى؟".

وهناك احتمالات عامة ربما تكون سبب نشأة اللغز وهي:

- ارتباطه بالطقوس الدينية عند الإنسان البدائي فهناك بعض الاعتقادات مفادها أن ذكر الشيء مباشرة يؤدي إلى كارثة، لذلك تلجأ إلى ذكر الشيء لبعض صفاته " تخاف الشعوب من ذكر هذه الأشياء لارتباطها بالحوادث السيئة".
- الخوف من الموت لدى بعض الشعوب، فاللغز كان بمثابة تعويذة لحماية النفس من الموت.
- ارتباطه بحفلات الزواج، كانت تلقى الألغاز على المتزوجين كطريقة لمعرفة مدى نجاح هذا الزواج أو فشله.
- الرغبة في إثبات القدرة العقلية لدى السائل والمسؤول.

2-أهم الأبحاث المغاربية المنجزة في اللغز الشعبي:

اهتم الباحثون المغاربة بالألغاز الشعبية لما لها من أهمية في حياة الأمم والشعوب ومن هذه الأبحاث نذكر: عبد الملك مرتاض "الألغاز الشعبية الجزائرية دراسة في الغاز الغرب الجزائري"، بن علي محمد الصالح " الألغاز الشعبية في وادي سوف"،أحمد بن محمد بن الصغير " الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي" ضم كتابه حوالي 531 لغزا شعبيا رتبها ترتيبا هجائيا، ثم فصلا آخر في الحلول.

وفي المغرب تطالعنا دراسة " إدريس الكتاني" " أحاجي كذا وألغاز" وهي أقدم دراسة في هذا المجال في الوطن العربي، ثم كتاب " الشرقاوي إقبال" بعنوان " في اللغز وما إليه"، وعملان موسوعيان هما الأحدث في هذا التخصص، الأول لـ" أحمد زيادي" بعنوان " الأحاجي الشعبية المغاربية" عرض فيها أهم إشكالية هي تدوين النص الشفهي، والثاني لـ " عبد الحي بنيس" " موضوعة الثقافة الشعبية المغاربية، "أطيب الأحاجي والأمثال من أفواه النساء والرجال".

أما في تونس فقد حظيت بدراسة "لحسن مبارك" حول الألغاز الشعبية التونسية سنة 2003م، وفي ليبيا نذكر دراسة " أحمد الشيخ" " كتب الألغاز والأحاجي اللغوية وعلاقتها بأبواب النحو".

3-مميزاته:

- التداول والتوارث ومجهولية المؤلف، فالإبداع جماعي.، فمتى ادعى شخص بأنه قائلها فقدت لمحاجية أو اللغز قيمتها المعرفية وتوقف تداولها.
- من حيث البنية التركيبية يتألف من أربعة أجزاء: البنية الاستهلالية، بنية الموضوع، بنية السؤال، وبنية الجواب، مثال : حاجيتك ما جيتك" ، أو " حانجيتكم" (بنية الاستهلال)، " من فوق لوح ومن تحت لوح" (بنية الموضوع)، " واش هو" (بنية السؤال)، " الفرخ لالا والخزانة لالا " (حوار بين السائل والجماعة)، هو " الفكرون" (بنية الجواب).
- الطباع المحير لا بد أ، يحمل طابع الحيرة قبل إيجاد الحل.
- الطابع التعليمي.
- الطابع الشعبي: يولد اللغز من رحم الواقع الشعبي فهو يعبر ويجسد ويعكس بنيته وينتمي إليها.
- يرد اللغز في قالب شعري يسهل تداوله وحفظه كما يرد في قالب الحكاية، مثال: " عربية جات من بلاد العرب قالت آش هاذ لعجب الفضة راكبة فوق الذهب".
- من حيث الأسلوب قصير العبارة ، موجز اللفظ، تركيز المعنى وإصابته، جمال التعبير وحسن التشبيه، غلبة السجع والجناس، الإيقاع الجميل والانسجام.

أما مناسبة طرحها فلدى كثير من الشعوب، تروى في مواسم الأفراح والفلاحة وحفلات الزواج والخطوبة، كما تطرح أثناء السمر في الليالي المقمرة، وغالبا ما تؤديها الجدات والأمهات.

4-وظائف الألغاز والأحاجي:

- ترويض الذهن وتدريبه على التركيز من خلال المعطيات المتنافرة، وفي ذلك اختبار للذاكرة والعمل على حضور البديهة.
- تدريب الإنسان على إدراك المحيط الذي يعيش فيه بظواهره المختلفة الطقسية، والبيئية وغيرها.
- زيادة معارف المتلقين من خلال الاكتشاف، مما يؤدي إلى التراكم المعرفي.
- التدريب على الحوار والتركيز في موضوع معين.
- إظهار البراعة والتفوق في اكتشاف الحل مما يؤدي إلى نوع من النشوى والسعادة التي تدفع الإنسان إلى اكتشاف المجهول، وإظهار التفوق بمعنى تقوي الأنا في الطرفين.
- التخلص من القلق والتنفيس عن النفس.
- إتاحة التخاطب الجماعي بين الكبار والصغار.
- إنه وسيلة للتلقين والتذكير بالمعتقدات والتعلق بها والتنبيه إلى ممارسة طقوسها.

5-نماذج متفرقة من الألغاز الشعبية المغاربية:

في الجزائر:" **حاجيتك كوما هوما ماجيتك على زوج خواتات واحدة تخدم خدمة الصلاح ولخرى تخدم خدمت لخسارة**"، " **حاجيتك على زوج مطارق في واد غارق ما يلحقهم لا ذيب لا سارق**"، "**حاجيتك على فارس جانا من قبلة باهي لباسو ولفحل ناض لاقاه والفايح غطى على راسو**".

وفي ليبيا:" **يمشي بلا راس ويحفر بلا فاس ويقتل بلا رصاص**"

وفي تونس:" **ابيض مني ومنك وابيض من ريش نعام بكوش ويرد السلام**".

وفي المغرب: " **طيها طي الكتاب ولونها لون الغراب**"، " **ثلاثة وقوف والرابع ملفوف والخامس يضرب ويشوف**".

هل نستطيع أن نستخرج الدلالات الحضارية والقيم التاريخية من الألغاز؟

مثال:" مزود صوف يبات يشوف" (الكلب)، اللغز المطروح هو حول الحيوان الذي له صلة وطيدة بالإنسان منذ عهود قديمة، فالحياة كانت تعول عليه في أمنها وتنقلها، فالدلالات التي يمكن استخلاصها من هذا اللغز تكمن في الدلالة الحضارية **(المزود)** فقد كان يستخدم في اختزان المؤونة من التلف والأشياء الثمينة، والاجتماعية تكمن في كل ما يتصل بالمزود من عادات وتقاليد وطقوس (جهاز العروس)، والتاريخية تتمثل في مرور المجتمع الجزائري في البادية بمرحلة حضارية هي مرحلة الصناعة التقليدية.

محاضرة رقم (3): السيرة الشعبية المغاربية

1- تعريف السيرة الشعبية:

هي نوع أدبي يسرُد قصة متعلقة بحياة شخصية من الشخصيات أو جماعة من الجماعات أو شعب من الشعوب، وعادة ما تكون تلك الشخصية أو تلك الجماعة ممن وردت أخبارها في كتب التاريخ والسيرة والأدب، مثال: "عنترة بن شداد"، "سيف بن ذي يزن" و" الظاهر بيبرس" وغيرها، فالسيرة الشعبية قصة مطولة شبيهة بالرواية في عصرنا الحالي، وهي شبيهة من حيث الموضوع بديوان العرب في الأنساب والترجمات التاريخية فهي تترجم حياة شخصية من الشخصيات الشعبية التاريخية المعروفة، كما هي الحال بالنسبة "لسيرة عنترة بن شداد العبسي"، لكنها تتجاوز التاريخ الواقع إلى الخيال الشعبي، وفي هذا قال "هجيرتي كراب": «تتحول الترجمة التاريخية للأشخاص إلى قصة أدبية مطولة تدور حول حياة شخص فكذلك تصبح سير العائلات على مر الزمن سيرا رومنسية تفتقر إلى الأساس التاريخي الواقعي وتغدو أداة يستخدمها الخيال الشعبي وينسج خيوطها».

وتختلف السيرة الشعبية عن السيرة النبوية وعن السير الذاتية، حيث ذهب " سعيد يقطين " إلى أن هذا المصطلح لم يأخذ استقلاله التام إلا بعد أن أضيف إلى عدة أنواع أدبية وأجناس أخرى أبرزها الملحمة ، الحكاية، للقصة البطولية، القصة الفروسية.

وقد أثارت السيرة الشعبية اهتمام الكثير من الدارسين العرب والباحثين فخصوها بالدراسة، وأحاطوها بالعناية منهم: "فاروق خورشيد" بـ"أضواء على السيرة، وأدب السيرة الشعبية"، "عبد الحميد يونس" بـ" الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي"، و" شوقي عبد الحكيم" بـ " السير والملاحم الشعبية العربية"، و"السعيد يقطين" في كتابه " قال الراوي".

2-مميزاتها:

- التداول الشفوي والتوارث جيلا عن جيل إضافة إلى التدوين.

- الجهل بالمؤلف فهي تنسب إلى الراوي الشعبي الذي ينحدر من سلسلة طويلة من الرواة الشعبيين.
- من حيث الشكل قصة مكتملة الأجزاء، لها بداية ووسط ونهاية، وحبكة وعقدة، وإن كان يغلب عليها الطول، وهي تصاغ في قالب نثري جميل، تطبع عليه الصور البيانية (التشبيه والكناية)، والمحسنات البديعية (الطباق والجناس والسجع).
- لغتها هي اللهجة العربية البدوية الأصيلة في الغالب أو اللغة الدارجة أو العامية في كثير من الأحيان، لأنها سُردت بروايات شعبية محلية.
- تتميز بالطول مقارنة بباقي الأشكال الأدبية الشعبية الأخرى.
- من حيث الأسلوب تتميز ببساطة اللفظ، سلاسة المعاني، زخرفة القول وتنميقه، كثرة الوصف الذي تغلب عليه الصور البيانية.
- البطل الشعبي جزأ لا يتجزأ من الجماعة الشعبية التي ينتمي إليها ولا من التاريخي الذي عرفه، فـ"عنترة بن شداد" شخصية تاريخية عربية معروفة تعبر عن المجتمع الذي تنتمي إليه، و"الظاهر بيبرس" شخصية تاريخية اقترن ذكرها بعصر المماليك وبالدولة الإسلامية في مصر، والبطل في السيرة هو الفحل أو الفارس أو الزعيم؛ أي أن المقومات الرئيسية للسيرة هي الفروسية، وسجلت كتب التاريخ أن الفروسية نمط من أنماط الحياة ونظام قائم برأسه من نظم المجتمع، فقد كان الفارس يبرز في المجتمع الجاهلي على سبيل المثال ويصبح المحور الذي تدور عليه حياة القبيلة بأسرها، واستمرت الفروسية طوال التاريخ العربي ولا تزال موجودة ومشهورة في كثير من بيئات العالم العربي، لذلك تشترك أبطال جميع السير الشعبية العربية في ملامح واحدة وهو ما يعرف "بالأنموذج الشعبي للبطولة".
- بطل السيرة الشعبية دائما مجهول النسب في بداية حياته أو غير معترف به، ثم يعرف نسبه الحقيقي في النهاية.

- تتنوع شخصيات السيرة الشعبية بين التاريخية المعروفة والمتخيلة والأسطورية الخرافية التي لا وجود لها.
- من حيث الزمان والمكان احتفت السير أيُّما احتفاء بذكر الأمكنة وتحديدها والتعريف بها، لكن علاقتها بالزمان تتميز بالتنوع والإطلاق والتعميم، فلا نكاد نعثر على مؤشرات دالة تعرفنا على العصور التي وقعت فيها الحادثة أو المعركة، إنما تذكر المدة الزمنية التي استغرقها القتال أو السفر أو الترحال، وعادة ما يكون ذلك مرتبطا بأرقام مثل: ثلاثة، تسعة، عشرة، وأوقات مقدسة مثل: الفجر والصبح والعصر، وأيام مقدسة مثل الأحد والخميس.

3- الأشكال التعبيرية المساهمة في بنية السيرة الشعبية:

تعد السيرة الشعبية من أكثر الإشكال التعبيرية في الأدب الشعبي انفتاحا وتعالقا، مع بقية أشكال التعبير سواء الشعرية أو النثرية، وإذا حاولنا تتبع أهم تلك الإشكال التعبيرية ورودا داخل السيرة والتي أسهمت في بنيتها:

أ- الشعر: إن المتصفح لمتون السير الشعبية يلاحظ انه لاتكاد تخلو صفحة من صفحاتها من بيت أو أبيات أو حتى قصائد كاملة من الشعر، وهنا نطرح السؤال الآتي: هل السيرة وجدت شعرا أولا أم نثرا؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من تأكيد حقيقة أن السيرة الشعبية كما ذكر فاروق خورشيد فن مستقل بذاته له قواعده وأصوله وله بنائه الفني الخاص به، وله أهدافه الفنية والاجتماعية والسياسية التي استقل بها وتميز.

فالنصوص الشعرية في السير الشعبية خاصية من خصائص بنيتها الفنية والشكلية ومن ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر، قول دياب الهلايلي لما نادته محبوبته الجازية:

أنا ديـابْ لِهلاَيـلي   كاليْث عنْده عْزيمَـه

صنْديدْ عنْد القِتاَل   بِالرُّمْح عِنْدي سْمِيمَه

سِكِينْ بِيها نْشَـالِي   دَايمْ جْرَاحُه عْدِيمَه

قْتِلْت فَرْسْ الزَّنـاتِي   فِي حِربَة طْـمِيـمَه

وقول عنترة بن شداد مستفزا خصمه، داعيا إياه للقتال:

ألاَ أيُّهاَ المَغْرورُ بَيْـنَ العَـوَالِمِ   أَتَتْكَ كُؤُوسُ الْموْتِ فِي حَدِّ صَارِمِ

أنَا عَنْتَرَةُ العَبْسِيُّ قَسْوَرَةَ الدُّغْمَا   مُبيدُ الأَعَادِي عُرْبَـهَا وَعَجْـمِـهَا

وقد وردت المقاطع الشعرية في السير الشعبية على أشكال مختلفة منها: المدح، الوصف ، والغزل، وما يلاحظ على هذه السير أنها وظفت الشعر بصورة متنوعة، وجميلة بعيدا عن الحشو، ويبقى الشعر في السير ركيزة مهمة من ركائز بنائها الفني.

ب- فن التراسل والمكاتبات: وظفت السيرة الشعبية هذا الشكل التعبيري الذي يهدف إلى تبادل الإخبار بين القادة والأمراء، وبين الأبطال وأعدائهم وبين الحبيب وحبيبته، ولا يمكن في هذا الصدد نسيان مؤسس هذا الفن" عبد الحميد الكاتب" ، إن الرسائل التي تضمنتها السير جاءت على شكل مكاتيب وخطابات مختصر وبليغة، صادرة من أعلى هرم السلطة إلى القاعدة.

ج- توظيف الأساطير والخرافات: استفادت السيرة الشعبية من الحكايات الخرافية، والأساطير التي حفظها الناس وتداولوها، خاصة تلك الحكايات التي تتحدث عن أيام العرب والأخبار التي تناقلتها الرواة عن ملوك العرب، والروايات التي كثرت الإشارة إليها في القرآن الكريم، عن أمم الجزيرة العربية البائدة ،وما احتفى به العرب من علوم الأنساب والمغازي، ويظهر تداخل السيرة مع الأسطورة والخرافة في تلك الصفات الخارقة التي تميز بها البطل السيري، والوصف الخيالي للاماكن والشخصيات والحضور المكثف لعالم الجن والشياطين والمردة والعفاريت، حيث وظفت كوحدات محورية أساسية في التكوين البنائي لهذه السير، ومثال ذلك سيرة سيف بن ذي يزن التي تعتمد اعتمادا جذريا على عالمي السحر والجان،

كما تعتمد على الخوارق والأدوات الخارقة، ليهزم البطل قوى الشر، وجميع هذه التعالقات تكسب السيرة الغموض والإثارة وخلق جو المغامرة الذي يستهوي المتلقين.

4- نماذج من السير الشعبية:

من أشهر السير الشعبية التي خلدتها الذاكرة وقيدتها أيدي الدارسين والخطاطين، نذكر:

- سيرة " عنترة بن شداد العبسي".
- سيرة" الزير سالم أبو ليلى المهلهل".
- سيرة " الأميرة ذات الهمة".
- سيرة الملك " الظاهر بيبرس".
- سيرة " حمزة البهلوان".

5- ملخص سيرة بني هلال:

بنو هلال هم قبيلة عربية عدنانية ينتهي نسبها إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وسيرة بني هلال مجموعة من الحكايات الشعبية التي تروي مغامرات بني هلال وبطولاتهم، ومن كان معهم على مر الزمن وهجرتهم الكبرى من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا، وهي في الوقت نفسه قصة حياة أبي زيد الهلالي ومغامراته وبطولاته، كيف طرد هو وأمه من القبيلة، ثم كيف اعترف بنسبه وفضله وبطولته.

هي قصة مبنية على ثلاث حلقات كبرى متصلة: تضرب الأولى بجذورها إلى ما قبل الإسلام، فتروي قصة التواجد التاريخي لبني هلال في الجزيرة العربية وهجرتهم الأولى إلى بلاد السرو وعباد (فلسطين والأردن)، وتحكي الثانية قصة وقوفهم إلى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم في قتاله الكفار والمشركين وكيف انه باركهم ودعى لهم بالخير والتوفيق، حتى أنهم أسكنهم بوادي العباس، ثم تسرد القصة كيفية انتشار العرق الهلالي في الجزيرة

العربية بين الشمال والجنوب، انحدارا من الجد الأكبر "المنذر بن هلال بن عامر" الذي أنجب الجدين الأكبرين: " جابر" و "جبير" ، أما جابر فمن " هذباء" ابنة الملك " مهذب"، وأما " جبير " فمن "عذباء " ابنة الملك "الصالح".

أما الحلقة الثالثة فهي قصة متعلقة بهجرة بني هلال إلى شمال إفريقيا وتبدأ بأرض نجد وسقوط بني هلال بن يدي مجاعة قاتلة عصفت بالأخضر واليابس، ثم تصف هجرة بني هلال حدثا حدثا إلى أن يتم الاستيلاء على تونس وجزائر الغرب فاستقروا فيها إلى الأبد.

محاضرة رقم (4): الأغنية الشعبية المغاربية

1- مفهومها:

تعد الأغنية ركنا من أركان الثقافة الشعبية المغاربية، ولوحة فنية تعكس جانبا من عاداتنا وتقاليدنا، وتاريخنا، الأمر الذي يجعلها في متناول الجميع.

يعرفها أحد الباحثين قائلا: «الأغنية الشعبية هي قصيدة ملحنة مجهولة المؤلف نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية وبقين متداولة أزمانا طويلة»، في حين يقول " أحمد مرسي" : «الأغنية هي المرددة التي تستوعبها حافظة الجماعة تتناقل آدابها شفاها وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي»، ويقول آخر: «الأغنية الشعبية بسيطة الأسلوب بدائية الآلات الموسيقية وتعبيرها مباشر عن لحظات الوجدان والانفعال والتأثُّر مما يجعل نصوصها يغلب عليها المزاج الفردي».

فالكلمة واللحن حافظت الأغنية الشعبية على التاريخ الثقافي للأمم والشعوب والحضارات واستطاعت أن تنقل كثيرا من التجارب الإنسانية (الألم والفرح) بكل صدق وأمانة كما عبرت عن خصوصيات المجتمعات البدائية والمتحضرة عن طريق تصوير البنى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

أعطتنا الأغنية الشعبية صورة واضحة عن مراحل التطور الإنساني عبر الأزمنة «فالإنسان عرف الغناء أصواتا منغمة قبل أن يهتدي إلى الكلام فعبر بالأصوات البسيطة عما يجيش في صدره من دوافع اللذة والألم والميول والرغبة».

ونظرا لأهمية هذا الشكل التعبيري أفردت له جهود خاصة باعتباره يجمع بين الكلام واللحن والرقص والآلة الموسيقية، وأول دراسة تجدر الإشارة إليها هي دراسة الباحث "هاردر" الذي ألف كتابه الشهير " أصوات الشعوب من أغانيها" وقد ضم فيه الأغاني التي

جمعها ورأى أنها تعكس روح الشعب الألماني، وتدل عليه أكثر من غيرها من ألوان التعبير الخاص.

فعلا تعد الأغنية معيارا حقيقيا للعرف على ذوق الشعوب وحضارة الأمم، إنها صورة مباشرة لاهتمامات الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم، وكل ما يشكل أساسيات الحياة في ذلكم المجتمع، فمن خلال تركيبها وإيقاعها ولحنها، يمكن التعرف على المستوى الفكري للمجتمع.

ومن المهم الإشارة إلى أن الساحة الأدبية العربية والمغاربية لم تعرف مصطلح " الأغنية الشعبية" إلا حديثا بعد أن ترجم عن المصطلح الألماني " Volkleid" الذي قدمه "هاردر" ليتبناه في الأخير الباحثون ويترجمونه إلى مختلف اللغات، والأغنية الشعبية تعبير يتيح لنا تصور شعب تبنى أغنية فلحنها وأداها فحفظها وشاعت وسط الجماعة فرددوها وما كان بقاؤها المتوارث لولا هذا الترديد، لكن تجدر الإشارة إلى التحويرات فما من أغنية حافظت على أصالتها، وهذا دليل على تجاوزها للزمن الذي أنتجت فيه، إلى زمن آخر، ويدل هذا على أنها تمتلك روح التجدد والتأقلم مع الأجيال اللاحقة.

2-الخصائص الفنية للأغنية الشعبية:

رغم التنوع الموجود في موضوعات الأغنية الشعبية، إلا أنها تشترك في نفس الخصائص الفنية، بدءا من النص مرورا ببنائها اللحني والإيقاعي، وانتهاء بأسلوبها الأدائي.

- جزالة المعنى ورقة اللفظ.
- العفوية: لأنها منبعثة من الذات الشعبية غير المعقدة الدافقة بأحاسيسها دون تكلف وتنميق، لذلك فإننا نجد أن كلماتها في اغلبها بسيطة وفي فحواها عميقة وصادقة في التعبير.
- الجماعية: الأغنية الشعبية جماعية بمعنى أن نصها وإن كان يعود إلى فرد، إلا أنها تذوب في الروح الجماعية وتصبح قابلة للتبديل والتعديل والإضافة.
- ألوانها وطبوعها كثيرة تشبه ألوان الصناعة الشعبية الريفية.

- الأغنية الشعبية ذاتية لأنها تصدر عن وجدان الإنسان معبرة عن آماله وآلامه، ثم يتناقلها الشعب بعد أن يستوعبها فتصبح ملكا له.
- ليس الفرح هو المزاج العام للأغنية الشعبية، فهناك بعضا منها تغلب عليه قسوة الحياة ومراراتها، غن لم نقل مأساتها.
- من حيث الأسلوب بسيطة، غير معقدة، مسجوعة، تغلب عليها المعاني العميقة.
- اللهجة المحلية: تمتاز الأغنية الشعبية باللهجة المحلية الخاصة بكل منطقة مغاربية، وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف اللهجات والعادات والتقاليد حتى في البلد الواحد، كما يرتبط بأداء الأغنية الشعبية المغاربية ارتداء شكل خاص من اللباس يكون في الغالب اللباس المحلي الذي ينتمي إليه المغني أو الفرقة الشعبية، أو لباس قديم تناساه الناس ويريد المغني أن يبين عراقته، ففي الجزائر مثلا يرتدي المغنون: القندورة والشاش والبرنوس، وفي المغرب يرتدون الجلابة والطربوش، وفي تونس يرتدي المغنون البلوزة والجبة والسروال التقليدي والقشابية والبرنوس.

3-أشكالها:

تجدر الإشارة إلى شكلين أساسيين من الأغاني:

أ- **الأغنية الفردية:** هي تلك الأغاني المؤداة فرديا بل تلك الأغاني التي صدرت عن مؤلف واحد وأكثر من ينسب إليهم هذا النوع هم النساء، حيث كانت المرأة منذ القديم تعبر عما يختلج نفسيتها الداخلية من أفراح وأحزان عن طريق **الدندنة** وهذا ما كان يطلق عليه قديما "الدندنات" التي كانت تؤديها الأمهات والجدات للأطفال، بالإضافة إلى "المهدهدات" ونواح الأمهات وغناء العجائز والندب، كما يمكن الإشارة إلى أغاني الترقيص والتنويم التي كانت ترددها الأم من أجل تنويم صغيرها وإسكاته تعبر من خلالها عن حبها وتعلقها به، وهو ما يطلق عليه مصطلح "التراري"، فإذا مرض ليلا تقوم بعنايته وتبدأ بالغناء قائلة:

يا باري يا باري يــا رقــاد الـذرار

يا باري ويبربرك نطلب رب يسلمك

يسلمك وينجيك ويحيد لبــلا عليك

تحمل الكلمات معاني الحب والخوف على الأبناء. وتقول أيضا:

ياوليـدي ياولـيدي يا كحل الحاجب والعين

يـاوليـدي ياوليدي يـا لـوكان المــال بيدي

نجيب عروسة لوليدي.

تتنوع الأغاني الفردية فنجد مثلا أغاني المديح (مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته)، وتكون مأخوذة من بعض القصائد التي ألفها الشعراء تعبيرا عن العواطف الدينية، مثل قول لخضر بن خلوف في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

مدحي مفروز كي لحليب بْيَضْ صَافي صــافي من عسجد القطوف

نمــدح ســيد لعباد طـه المقـطــافي مــدامـــت عـيني تشـوف

ويوجد نوع آخر من الغناء الفردي يؤديه الرجل عند ركوبه الفرس ويسمى في الغرب الجزائري "**بالتعياط**" كمصطلح نعني به صاح، والعامة تقول: عيط له أي ناداه، وعيط القوم صاحوا، والتعياط هو نوع من الموال تتميز به مناطق الغرب والشرق الجزائري، في مناسبات تقليدية كالفروسية والوعدة، حيث تبدأ جماعة الفرسان في السماع إلى تعياط أحدهم، وعند نهايته تطلق نار البنادق وتشرع النسوة في الزغاريد، تقول " نبيلة إبراهيم" «أفضل ما يلاءم الغناء الفردي في هذه الحالة هو الموال».

ب- **الأغنية الجماعية:** تقوم بها مجموعة من النساء أو الرجال في شكل أغاني جماعية تغنى حسب مواضيع ومنابات الأغنية، وتكمن وظيفتها في الترفيه والتسلية والإشادة

بالقيم الأخلاقية والاجتماعية، يتم التحضير للأغنية الجماعية في اجتماع المغنين في شكل حلقة لتحضير أنفسهم واختيار الأغنية المناسبة وكيفية أدائها، وبعدها ينقسمون إلى صفين يتقابلان وجها لوجه، وقد تشارك النساء كذلك بالرقص والغناء والزغاريد، يبدأ الصف الأول بترديد المقطع الأول، ثم يردد الصف الثاني المقطع الثاني، ليعيد الصف الأول ترديد المقطع الأخير، ويعطي الكلمة للصف الأول ليبدأ مجددا بأداء المقطع الأول، وهذه هي صيغة أداء الأغاني الجماعية. ويطلق على الأغاني الجماعية تسميات مختلفة منها : الرحابة، الذكارة، السباحة.

4- مضامينها (موضوعاتها):

لاشك أن المبدع الشعبي للأغنية أثرى بمخيلته أغانيه، فانعكست فيها آمال الشعب وأحلامهم وآلامهم كما حملها مجموعة العادات والتقاليد وكل ما يدور في الحياة اليومية، وتم تناقل الأغنية من الآباء إلى الأبناء ومن الأمهات إلى البنات، وحملت في طياتها معان وأفكار يتحلى بها المجتمع، فاختلفت وتنوعت حسب المواضيع. ويمكننا أن نقسم هذه المواضيع إلى الأقسام الآتية: الأغاني الدينية، وأغاني العمل، وأغاني الأفراح، والأغاني الثورية.

- **الأغاني الدينية:** هي تلك الأغاني التي تناولت المواضيع الدينية على اختلافها كالدعاء والتضرع إلى الخالق، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، مثال:

افـــرح يـا قــلـبــي   والليلة زاد النبي

خويا الشيخ العربي   فيدو شمعة تقدي

ومثال آخر: أغنية معروفة في الغرب الجزائري باسم "التبراش"، حيث تتجمع النسوة وتشعل الشموع وتبدأ بالغناء بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم تقول:

يا عيشة لا تـرقـدي   ياعيشة لا ترقدي

حلي الباب واصنتي والليلة يزيد النبي

البارح زاد وتسـمـى والجمـاعة متـلمـة

والهدف الرئيسي من هذه الأغاني هو إيقاظ الروح الدينية وانفتاح الوعي الإسلامي.

- **أغاني العمل:** هي تلك الأغاني التي يرددها النساء والرجال أثناء العمل، خاصة العمل الزراعي كمواسم الزرع والحصاد، وعادة تؤدي في عمليات جماعية تعاونية تسمى **بالتويزة**، وتنحصر وظيفتها الأساسية في تسهيل وتخفيف عناء العمل وحث الجماعة على الاستمرار والصبر بإيقاع موحد ومتناسق، فالفلاحون كثيرا ما يستعينون بالأغاني في أعمالهم اليومية أو الموسمية، ويضطر المغني أن يضيف إلى الأغنية كل ما يطرأ على ذهنه من كلام، مادام هذا الكلام صالحا لان ينساق مع لحن الأغنية، كما أنها تؤدى بدون آلات موسيقية.
- **أغاني الأفراح:** هي تلك الأغاني التي تؤدى في الأفراح المختلفة من زواج وختان وخطوبة، ويصاحبها الرقص الذي يثير الإحساس بالسعادة والابتهاج، ومن بين هذه الأغاني تلك التي تم ذكرها باسم مصطلح " أغاني الذكارة والرحابة والسباحة"، أو أغاني الصف، مثال ذلك: في الجزائر أغنية الحنة:

  الحنة لحنـينة جابوها الرجال في ديك يا لعروسة تطلاع وتحمار

وفي تونس نذكر:

حني يا لبنية في صحن بلار في يديك يالبنية نشا الله تحمار

حني يالبنية في صحن بلار حنة قابسـية جـابـوهـا التـجار

- **الأغاني الثورية:** تحمل الأغنية الثورية في طياتها كل التضحيات والمقاومات التي قام بها المجاهدون، وبسالتهم في مقاومة القوات الفرنسية، فقد واكبت الأغنية مختلف الأحداث التي عاشها الشعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي فعكست صراعاته الدامية

مع محاولات المسخ لمقوماته العربية والإسلامي، كما سجلت طموحاته وأفراحه إلى جانب خيباته وهوانه، فاتخذت من الكلمة العفوية الصادقة والصوت القوي الرنان سلاحا فعالا لإثارة حماس الناس، وشحذ هممهم وعزائمهم للتضحية والفداء من اجل الوطن، ودحر العدوان الغاشم عن الشعب والأرض، فكانت الجماهير تتغنى فرادى وجماعات بكلمات تلهب المشاعر وتتصدى للجبروت والطغيان، واستطاعت بذلك أن تكون ملحمة ثورية شعبية خالدة تحقق التواصل بين الجماهير والمقاومة المسلحة، مثال:

ليشار قدام الدار

والسلسة توزن قنطار

لا قدمنا شعلت النار

ولا وخَّرنا هذاك العار

قائمة المصادر والمراجع للمحاضرات:

1. أمينة فزاوي، مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2011.
2. سعيدة حمزاوي، العادات والمعتقدات في الأغنية الشعبية الأوراسية، قراءة في المضمون والوظيفة.
3. سعيدي محمد، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق.
4. صليحة سنوسي، أشكال الأغنية الشعبية في الغرب الجزائري.
5. عبد الحميد بورايو، البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري.
6. عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية.
7. ابن عبد ربه، العقد الفريد.
8. فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية.
9. محمد عيلان ، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري.
10. مكسح دليلة وغزالي فتيحة، فعاليات الأغنية الشعبية في تحريك أحداث الثورة بمنطقة جمورة.
11. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط3.